الفرق بين العلمانية

و

الأحزاب الدينية

(مادة صوتية مفرَّغة)

لأبي عبد الله

أبي بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة المصري

-حفظه الله تعالى-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين -صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا- ورضي الله عن الصحب أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فهذه مقارنة مختصرة بين العلمانية والأحزاب الدينية.

العَلْمَانِيَّةُ: فَصْل الدين عن الدولة، أي: فَصْل الدين عن الحكم، وفصل الدين عن حياة الناس.

هذا بالنسبة للعلمانية.

وبالنسبة **للأحزاب الدينية**، فهي:

تفريقٌ لأمة محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- سواءٌ سُمِّيَت بالإخوان المسلمين أو بالسلفيين!! الذين يَسيرون على دَرْب الإخوان المسلمين، وليسوا من السلفية.

فهولاء العلمانيون خطرٌ على الإسلام وأهله، وكذلك الأحزاب الدينية، خطرٌ على الإسلام الصحيح وأهله.

فكلٌّ له نصيبٌ مِن الخطورة على دين الإسلام وعلى المسلمين، فلكلٍّ قسطُه وحظُّه من الردِّ والانتقاد.

فكونُنا نرُد على العلمانيين، ونقول لهم:

يا أيها العلمانيون! إنَّ مذهبكم باطل، وإنَّ الواجب هو تحكيم شرع الله -عز وجل- في كل صغيرٍ وكبير، في الفتيل والنقير والقطمير من حياة الناس، كما نقول هذا في حق العلمانيين، فإنَّ الإسلام أَمَرَ -أيضًا- بالعدل، وقال:

﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

فنقول -والشأن ما ذُكِر-: إنَّ الأحزاب الدينية -أيضًا- خطيرة على دين الإسلام، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

وكذلك قال الله -عز وجل-: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

فتعدُّد الأحزاب في الإسلام فيه تَشَبُّه بالمشركين، وقد ذَمَّ اللهُ -عز وجل- الأحزابَ في كتابه، ذمَّ الله -عز وجل- جميعَ الأحزاب في كتابه، وذلك في جميع آيات القرآن الكريم إلَّا حزبًا واحدًا، وهو حزب الله، وهو الحزب المفلِح، أي: الذي يمشي على ضوء الكتاب والسنة بفَهْم مَن هم أدرى بالكتاب والسنة مِن سلف هذه الأمة.

لكن بقي فرقٌ دقيقٌ بين العلمانية والأحزاب الدينية لابُدَّ من مراعاته والالتفات إليه، أَلَا وهو:

أنَّ العلمانية أمرها ظاهر مكشوف مفضوح لكل أحد، فلا يَنْطلي على كثير من الناس، وإنما ينطلي على مَن أَطْرقَ في الغَبَاوَةِ والبَلادَةِ والحَمَاقَةِ والطَيْشِ، تلك العلمانية واضحة مكشوفة عارية، نعم.

كشَفَتْ عن سوأتها بوضوح وجلاء.

فمِن هنا لا تكون الفتنة بها كالفتنة بمَن كان أَمْرُه خفيًّا، وهي الأحزاب الدينية.

فالأحزاب الدينية لَمَّا كانت تنتسب إلى دين الإسلام، وكان في الوقت نفسه عندها مِنَ الانحرافات عن دين الإسلام، ومِن الجهَالات، ومن الضلالات، ومن الأشياء المنسوبة إلى الكتاب والسنة -وليست منه- كان أمرها أخفى مِن أمر العلمانية، فمِن هنا يَنْطلي أمرُ الأحزاب الدينية على كثير من الناس، وكلَّما اشتد خفاء الأمر اشتد ضرره؛ ولذلك نهى الله أهل الكتاب عن لَبْسِ الحق بالباطل، فقال:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فالعلمانيُّ يأتيك بالباطل واضحًا صريحًا صُراحًا، فمِن هنا أنت تحذره بسهولة.

أمَّا الذي يَلبِس الحق بالباطل، كأن يأتيك بآية أو حديث، ثم يُفَسِّر الآية على غير تفسيرها، أو يفسِّر الحديث على غير تفسيره، أو يُدخِلُ بجوار أو بجانب الآية والحديث رَأْيًا مخالِفًا للكتاب والسنة، فمِن هنا يَغتر الناس بكلام هذا القائل الذي استدل بآية وحديث ضِمن حديثه، فينطلي عليه الشر والباطل الذي ضُمِّنَ في كلامه.

إذًا فمِن حيث يكون الخفاء والظهور، أَمْرُ العلمانية ظاهر، كالمرأة العارية المكشوفة، فضحتْ نفسها -هكذا- بين الناس، نعم.

أمَّا أن تكون المرأة منتقبة، وتتزيَّى بِزِيِّ الشرع، ثم تُحَرِّف في دين الله، فهنا يَحدث اغترارٌ بهذه المرأة أكثر من الاغترار بالعلمانية العاهرة الفاجرة.

إذًا فكما نُنكر على العلمانية فَصْلَهم الدين عن الدولة أو الدين عن السياسة أو الدين عن حياة الناس، فكذلك يُنكَر على الأحزاب الدينية انحرافاتُهم عن الكتاب والسنة، وعن فهم السلف، خاصة إذا كان أمرها أخفى من أمر العلمانية.

وكما سمعتم، كلَّما اشتد خفاء الأمر اشتد ضرره، نعم.

فمَن لَبَسَ الحقَّ بالباطلِ، فإنَّه متشَبِّه بأهل الكتاب، فهذا سبيل أهل الكتاب الذين لَبَسوا -أي خلطوا- الحق بالباطل.

وما مِن مبتدعٍ إلَّا وهو يقول حقًّا وباطلًا، فيَخلِط الباطل بالحق الذي معه، ومِن هنا ينخدِعُ وينطلي ذلك الباطل على كثير من الناس؛ لأنهم يُحَسِّنون الظن بهذا المبتدع المنتسب إلى الدين وإلى التمسُّك بالإسلام.

وليس الأمر في الحقيقة عند التمسُّك الحقيقي بدين الإسلام، نعم.

فالواجب على المرء المسلم أن يُنكِر الباطل على صاحبه كائنًا مَن كان، يهوديًّا كان أو نصرانيًّا أو ملحدًا أو مسلمًا فاسقًا أو مسلمًا مبتدعًا.

النبي عليه الصلاة والسلام قال لأبي ذرٍ -رضي الله عنه-:

«يا أبا ذر! إنَّك امرؤٌ فيك جاهلية»

قال: يا رسول الله! على حين ساعتي هذه من الكِبَر؟! قال: **«نعم»**.

والحديث في صحيح مسلم.

طيب، حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام هذا القول لأبي ذر، هل كان هناك فارس والروم موجودتين أم لا؟!

كانتا موجودتين.

فلمْ يُعَبْ ذلك على النبي عليه الصلاة والسلام أنه ينتقد الصحابيَّ مع منزلته ومكانته، ولا أقلَّ من كونه مسلمًا، لم يُعَبْ على النبي انتقاده أو ذَمُّه لأبي ذرٍ ووصفه بأن فيه خصلة مِن خصال الجاهلية حينما عيَّر رجلًا بأمِّه.

ولم يقل أبو ذر: يا رسول الله! كيف تنتقدني، وتترك فارس والروم؟!

لم يقل أبو ذر هذا.

فلم يَعترض أبو ذر على قول النبي عليه الصلاة والسلام، مع أنه قال فيه قولًا شديدًا **«إنَّك امرؤٌ فيك جاهلية»** وهذا حديثه مسطَّر مدوَّن من لَدُنْ زمانه -زمان النبي عليه الصلاة والسلام- إلى زماننا هذا، وإلى ما شاء الله -عز وجل- فصار ذلك دينًا وشرعًا في أن يُذَمَّ المسلمُ بقدر مخالفته للكتاب والسنة ولو وجِدَ الكفار شرقًا ومغربًا.

فوجود الكفار شرقًا ومغربًا، ووجود عداوة الكفار للمسلمين شرقًا ومغربًا، لا يمنع من انتقاد المسلم الفاسق، ولا من انتقاد المسلم المبتدع.

فلم يُعَبْ على النبي ذلك، ولم يَعترض أبو ذر.

والأمثلة كثيرة، قال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل:

«**أفتَّانٌ انت يا معاذ؟!**».

وقال لحَمَل بن النابغة الهذلي:

«**إنَّ هذا من إخوان الكُهَّان، مِن أجل سجعه الذي سجع**».

فعابه في وجهه، فلم يَعترض عليه حمل بن النابغة، وقال: يا رسول الله! لِمَ تقول فيَ هذا الكلام، والروم والفرس عن أيماننا وعن شمائلنا؟!

لَمْ يقولوا هذا، الصحابة -رضي الله عنهم- لم يقولوا هذا.

إذًا حينما يتكلَّم السني في المخالف من أهل لإسلام، فَلَه سَلَفٌ وأسوة برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهي أسوة حسنة، يعني ليس هذا من الأمر السَّيئ.

هذا هدي النبي عليه الصلاة والسلام ودينه وشرعه، وقال الله في رسوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

أي ما كان من هديه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وما كان من شأنه، فلنا فيه أسوة حسنة -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ولنا فيه أسوة حسنة في كل هديِه، وهذا منه.

وأيضًا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أمَّا معاوية فصعلوكٌ لا مال له، وأمَّا أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه**»

وفي لفظٍ: «**ضرَّابٌ للنساء**».

والوَصف بأنه ضراب للنساء ذَمٌّ وشَيْنٌ وقدحٌ أم مدحٌ؟!

هذا فيه عيبٌ، الضرَّاب للنساء هذا مَعِيب، نعم؛ إذ لا يُحسِنُ عشرة النساء.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام حينما أتى إلى أحد بيته نسوة يَشْكون أزواجهن، فقال: «**إنَّ أولئكم ليسوا بخياركم**».

إذًا فقوله في أبي الجهم: «**لا يضع العصا عن عاتقه**»

فهذا ليس من مناقب وممادح أبي الجهم، وإنما هذا مما عِيبَ به في هذا الشأن، أي حينما خطب فاطمة بنت قيس، فنصح النبي لها، وقال: «**أمَّا معاوية فصعلوكٌ لا مال له، وأمَّا ابو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه**».

وفي لفظٍ في صحيح مسلم -والأحاديث التي ذكرناها كلها صحيحة- قال في لفظٍ: «**ضرَّابٌ للنساء**».

فهل اعترض أبو الجهم على النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: يا رسول الله! كيف تقول هذا والمنافقون بين ظهرانينا، وفارس والروم شرقًا ومغربًا؟! لم يقُل هذا.

إذا، فلا يُعاب على أهل السنة الكلام في المخالِف.

إذًا فأهل السنة عدول، هم يتكلمون في الكافرين كما تكلم الله فيهم، ويتكلمون في المنافقين كما تكلم الله فيهم، ويتكلمون في اليهود والنصارى ويلعنونهم كما لعنهم الله -عز وجل- ولعنهم رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ويتكلمون في أهل الإسلام المخالفين.

فليس المخالفون من أهل زماننا من أهل المعاصي المجاهرين بمعاصيهم وفسوقهم، أو المبتدعين المعلِنين ببدعتهم أو الداعين إليها، ليس هؤلاء أفضل مِن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

إذًا فمَن أنكر على أهل السنة كلامَهم في المخالفين في المسلمين، يلزمه العَيب على رسول الله؛ إذ تكلم في مَن هم أحق بالحق من هؤلاء المتأخرين، ومَن هم أولى مِن هؤلاء المتأخرين بالإسلام، نعم، ومَن هم أعلم بدين الإسلام وبرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- نعم.

إذًا فكما أن المسلم يَنتقد العلمانية، وينتقد العلمانيين، فلا يحمله بُغض العلمانية على مداهنة أهل الإسلام.

فالنبي كان بلاشك يكره الكافرين من فارس والروم وغيرهم، ولم تمنعه تلك الكراهة وتلك البغضاء وذلك البراء من تصحيح أخطاء أصحابه، وتنبيههم عليها، وذَمِّ مَن استحق الذمَّ منهم، نعم.

فهذا شيء، وهذا شيء، نعم.

هذا يُتَكَلَّم فيه لِما هو فيه من الباطل، وكذلك يُتَكَلَّم في المسلم المخالِف لِما عنده من الباطل.

لماذا؟ صيانةً لدين الإسلام، حتى يبقى الإسلام صافيًا نقيًّا.

ولذلك الله -عز وجل- يقول:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

﴿**كُلُّهُ**﴾؟ **نعم**.

لا يكون هناك مداهنة بين أهل الإسلام، أبدًا لا يكون.

كان المشركون يريدون هذا من النبي عليه الصلاة والسلام ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ يعني: اسكت عنّي وأسكت عنك.

لا، مَن سكت عن أهل السنة، فإن أهل السنة لا يسكتون عنه إذا كان مخالِفًا؛ لأنه يجب عليه أن يسكت عن أهل السنة؛ إذ كانوا على الحق وهو على الباطل، أمَّا أهل السنة فلا يجوز لهم السكوت عن الباطل.

لو سكتوا عن الباطل وبيانِه يكونون مداهنين، والنبي لم يداهِن المشركين، لكن هم كانوا يودون ذلك ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

فالواجب هو إعمالُ الميزانِ، ميزانِ العدل والقسطاس المستقيم بشأن جميع الناس كلِّهم، مِن ملاحدة، ويهودٍ، ونصارى، وعلمانيين، ومبتدعين وفاسقين، نعم.

أكتفي بهذا القدر، والحمد لله رب العالمين

أُلقيَت هذه الكلمة بمسجد التوحيد بقرية جوجر، في ليلة السبت، الموافق ١١ من ذي الحجة ١٤٣٣ بين المغرب والعشاء.